مخيم جنيـــن

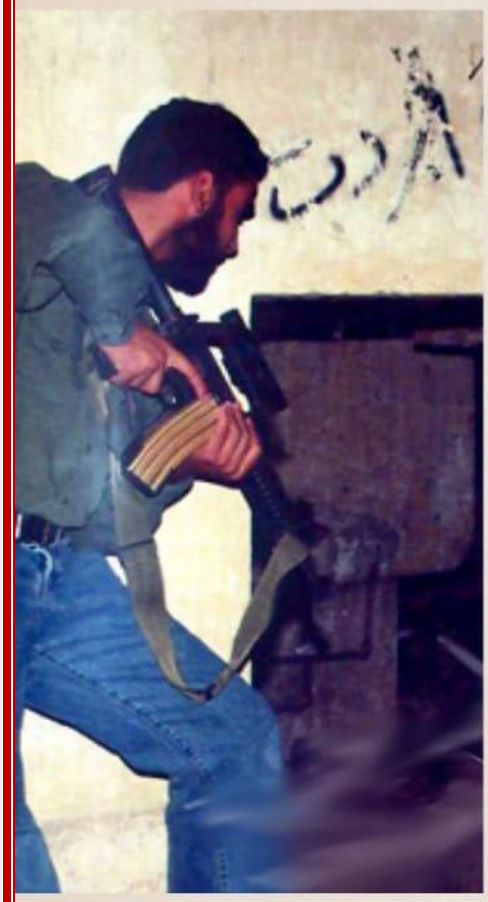

العقاب و التمرد

ورقة عمل

آذار/ مارس 2022

للاجئين
بوابة اللاجئين الفلسطينيين
Palestinian Refugees Portal

يجد الفلسطينيون في المجال الرمزي تعويضاً عن عدم حيازتهم لموارد القوة المادية، هذا يقود لنحت وإلصاق نعوت وأوصاف تجعل من كل شبر يصمد فيه الفلسطيني استثناء، لكن بعيداً عن هذه "الرمزية" أظهرت التطورات المستمرة خلال العقود الأخيرة تمايزاً خاصاً لمخيم جنين عن محيطه الفلسطيني، بما جعله يسجل حالة تمرد مستمر على السياق العام والشروط والظروف الحاكمة عموماً.

هذا الاستثناء بالتأكيد لن يكون مبهماً أو منسوباً لصفات رمزية أو متخيلة للاجئين في المخيم، إذا ما تم البحث في العوامل التي تنتجه، ولكن ما تعرض له صمود المخيم هو مساران متوازيان من "التمجيد" و"البحث العدائي" والأول من المفهوم غاياته المعنوية، أما الثاني فقد كان بالأساس يبحث حالة فرادة المخيم كتمرد يجب ضبطه وتفكيك مقوماته، وهو بحث يرفض فعل اللاجئ ويحاول إجباره على الانصياع لما حددته له منظومات التهجير والقمع والحصار.

لا يمكن لهذه الورقة إنجاز البحث المعمق والضروري في عوامل فرادة حالة الثورة الشعبية التي ينتجها مجتمع اللاجئين في مخيم جنين، ولكن بالأساس ستذهب الورقة لبحث سياسات العقاب والضبط المسلطة على مجتمع اللاجئين في المخيم، وأشكال ثورة هذا المجتمع عليها، في محاولة لتقديم وصف موضوعي للواقع القائم في المخيم، واتجاهاته المستقبلية، واستشراف قدرة هذا المجتمع على الصمود بالحد الأدنى وبمدى أبعد على إحداث تغيير في وضعه أو في التكامل مع تغيير فلسطيني أكبر وأشمل.

مخيم ينبت على حدود النكبة

لعب موقع مخيم جنين الى جانب مكونات مجتمع اللاجئين فيه دوراً أساسياً في تشكيل هويته ودوره، حيث أُقيم المخيم عام 1953، إلى الجانب الغربي لمدينة جنين، وفي أطراف مرج ابن عامر، وضم المخيم لاجئين من مدينة حيفا وقراها وجبل الكرمل.

قرب موقع المخيم من القرى التي هجر منها اللاجئون إليه حافظ على صلاتهم ببقايا مجتمعاتهم الأصلية وأقاربهم داخل الخط الأخضر

(الأراضي المحتلة عام48)، كما أن قربه من الحدود الفاصلة بين الضفة الغربية والأراضي المحتلة عام 1948 أسهم في تكثيف احتكاك سكانه مع قوات الاحتلال، وجعل من صلتهم بالأرض المحتلة وراء الخط الأخضر عنواناً لتمردهم على تقسيمات الاحتلال وإجراءاته الأمنية والقمعية، وهي صلات لم تقتصر على تلك المجتمعية، بل تطورت واتخذت أبعاداً سياسية متصلة بإرث هذه المنطقة في مواجهة المشروع الاستعماري.

هذه الموضع جعل المخيم يستعيد دوراً قديماً لعبته جنين كقاعدة للثورة في زمن الشهيد عز الدين القسام والثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936، فلقد اتخذ القسام قاعدته الأخيرة في أحراش يعبد غير بعيد عن موضع المخيم حالياً، واستشهد هناك ومعه بعض من رفاقه من أبناء ذات القرى التي هجر منها سكان المخيم، هذا الامتداد الديمغرافي كان مساحة دعوة القسام وحيز تحرَكَ فيه الثوارُ طويلاً ضد المستعمر البريطاني والغزاة الصهاينة.

فالمخيم الذي عرف طريقه للسلاح، لم يأت بالسلاح من خارج فلسطين بل من داخل الأرض المحتلة وغالباً من منشآت تابعة لجيش الاحتلال أو عبر صفقات مع شبكات إجرام وفساد في مجتمع المستوطنين المحتلين، كما لم يكن المخيم بعيداً عن نشأة مجموعات المقاومة الأولى في انتفاضة عام 1987 "انتفاضة الحجارة"، حيث تشكلت في منطقة جنين أنويتها الأولى وشكل المخيم أحد روافدها الأساسية، ما يشير لدور "الموقع" هو تشابه الحالة مع بدايات الظاهرة المسلحة في قطاع غزة والتي بدأت في مجتمعات اللاجئين في رفح المتاخمة للحدود المصرية جنوبي قطاع غزة.

إرث الثورة وروافدها السياسية

جملة من العوامل السياسية أحاطت بمسار مجتمع اللاجئين الذي كان على الدوام جزءاً من تفاعل حي مع الحدث الفلسطيني العام، فالانخراط المبكر لأبناء المخيم في بنى الحركة الوطنية الفلسطينية وفصائلها كان محورياً في تشكيل البنية الاجتماعية في المخيم وتحديد أنماطها القيمية وتمثلات الفرد داخل مجتمع اللاجئين لذاته وأدواره، وهو ما صنع أنماطاً

معينة من السلوك وحددها بصفتها مقبولة ومستحبة فيما نبذ أنماطاً وأدواراً أخرى، تمحورت هذه العملية في محدداتها الرئيسية حول الصراع مع المحتل، فلقد شجعت بيئة المخيم الانضمام للفصائل الفلسطينية وتعاملت مع كادرها بقدر عال من الاحترام، فيما أسبغت في تقديرها على من خاضوا التجارب العسكرية والنضالية في مواجهة الاحتلال، وبنت موقفاً عدائياً حاداً من أي تعاون معه، عبرت عنه عمليات عقاب العملاء وتصفيتهم، أو الدور الواضح للمخيم وأبنائه في مواجهة مشروع روابط القرى.

وبالإشارة للعوامل السياسية التي ساهمت إلى حد كبير في تحديد مسار المخيم، يمكن فهمها باعتبارها اجتماعاً لمصادر تغذية الهوية الفلسطينية المتمردة على النكبة بتمظهراتها المختلفة وتياراتها المتباينة، ندر أن تلاقت وتفاعلت بهذه الكثافة كما فعلت في بيئة المخيم.

شكل الدور التاريخي لمنطقة جنين وقرى مرج ابن عامر في الثورات الفلسطينية المتعاقبة جزءاً من هوية مجتمع اللاجئين في المخيم، أضيف لها الانخراط العميق للمخيمات الفلسطينية في انتفاضة عام 1987،

حيث مثلت المخيمات وأزقتها تحصينات المنتفضين في مواجهة حملات الاحتلال الواسعة لإخماد الانتفاضة، فيما صعّد أبناء المخيم ومعظمهم من أصول قروية بسيطة الى مواقع وطنية عامة ذات وزن اجتماعي بالغ في تلك المرحلة.

جاء القرار السياسي لقيادة "القطاع الغربي" في منظمة التحرير والمسؤولة عن متابعة وضع الأرض المحتلة إبان انتفاضة 1987 بقبول اقتراح أبناء الأرض المحتلة بتشكيل مجموعات عسكرية مسلحة، بمثابة إعلان عن انطلاق الفعل المسلح المواكب للانتفاضة في الضفة المحتلة، والذي بدأ بتشكيل مجموعات الفهد الأسود في منطقة جنين و دخول أبناء مخيمها على خط العمل العسكري دفاعاً عن الانتفاضة في مواجهة الاحتلال، بما شكل نقلة نوعية في تاريخ المخيم، وأصّل لربط مستمر بين المقاومة المسلحة في الضفة الغربية ومخيم جنين.

المحمول الوطني المرتبط بدور المخيم في إنفاذ برنامج منظمة التحرير الفلسطينية، وقيادة الانتفاضة في الأرض المحتلة "ق ا و م "، لم يمنع تطور حضور كثيف للفصائل الفلسطينية المقاومة للاحتلال في مخيم

جنين، وهو ما أضاف للفعل الشعبي في المخيم أبعاداً جديدة ارتبطت بمرحلة صعود هذه الفصائل شعبياً وعسكرياً، فكان المخيم مستقراً لحالة نشطة في مقاومة الاحتلال أفرزت موجات من أدوات الفعل الشعبي والعسكري حتى في ذروة تراجع حالة المقاومة في الضفة المحتلة.

منظومة العقاب

ما مثّله المخيم في انتفاضة الأقصى وحازه من رمزية في مواجهة جرائم الاحتلال، كان موضعاً لاستهداف مركز كانت أبرز ملامحه الحملات العسكرية المتكررة والهجمات والمجازر الوحشية ضد سكانه، والذي لم ترى فيه منظومة الاحتلال أداة كافية أو علاجاً شافياً لما ينتجه المخيم من فعل شعبي، وهو ما استدعى تفعيل سياسات أبعد مدى وأكثر عمقاً لتقويض روافع المقاومة الشعبية في المخيم، تتكفل بإحداث تغيير يعيد ضبط وإخضاع مجتمع اللاجئين في المخيم المتمرس في التمرد.

١- القتل وسياسة كي الوعي:

بادرت المنظومة الأمنية والعسكرية للاحتلال إلى سياسة اغتيالات نشطة بحق النشطاء الفلسطينيين في مخيم جنين، تحت مسمى "التصفية

المركزة"، مرفقة ذلك بمجموعة من التبريرات لعمليات الاغتيال والإعدام بذريعة منع أفعال أو تهديدات مستقبلية محتملة ممن تغتالهم، توسعت سياسة القتل من خلال الاجتياحات المتكررة للمخيم والتي سعت لتعميم القتل والتدمير ليطال شريحة أوسع من أهالي المخيم.

لاحقا أخرجت سلطات الاحتلال مفهوم "كي الوعي" كعنوان لاجتياحها ومجزرتها الكبرى في مخيم جنين، مقدمة تصورات حول دور التدمير الواسع وعمليات القتل والقصف في منع الفلسطينيين من التفكير في مواجهة الاحتلال.

خلال اجتياحها للمخيم بين 1 إلى 11 نيسان/ إبريل 2002 قامت قوات الاحتلال بقصف منازل المخيم بالطائرات الحربية وطائرات الهليوكبتر والمدفعية، ونفذ جنودها عمليات قتل واسعة النطاق كما استخدموا المدنيين كدروع بشرية، ومنعت إسعاف الجرحى وانتشال الجثامين.

كان استعراضاً لأقصى قدرات المحتل على التدمير والقتل دون محاسبة دولية، وهو ما تم بالفعل حيث تم تمرير المجزرة دون رد فعل دولي ذي

قيمة، كما جاء تقرير الأمم المتحدة حول المجزرة ليساوي بين جيش الاحتلال الذي نفذ مجزرة ممنهجة وقدم جنرالاته علناً تنظيرهم لأهدافها، وبين مقاومة مجتمع المخيم لمن يقتلهم ويدمر بيوتهم.

لم يقتصر دور المجزرة والاجتياح على القتل المباشر، بل عمل جيش الاحتلال على إعادة تشكيل المخيم بواسطة التدمير، باعتبار أن التشابك العمراني للمخيم والذي يعيق الاقتحام اليومي لقواتهم، ويخلق مساحة خصبة للتفاعل بين السكان اجتماعياً وسياسياً، هي عناصر للتهديد فشقت جرافات ودبابات الاحتلال شوارع جارفة البيوت المأهولة بالسكان، في محاولة لإعادة تشكيل المخيم بما يلائم عملياتها ويقضي على فرص سكانه في استعادة حياتهم السابقة ولو بعد حين، هذا النموذج التدميري أيضاً حظي بتنظيرات من قبل عسكريين وأمنيين وصحفيين في منظومة الاحتلال، بما يوضح طبيعة نظرة الاحتلال للمخيم كتجسيد للوجود المعادي والنقيض الأبرز للاحتلال، وفي الحصيلة دمرت قوات الاحتلال 455 منزلاً تدميراً كاملاً، و800 منزلاً بصورة جزئية.

2- السلطة الفلسطينية.. قمع وتهميش وتجنيد

لعل التحول الأبرز في علاقة السلطة الفلسطينية بمخيم جنين تمثلت في قبول السلطة بالبرنامج الدولي لـ "إصلاحها" أعقاب عملية السور الواقي، والذي شكل فعلياً إطاراً لإعادة تشكيل سياساتها وعلاقاتها بالمجتمع الفلسطيني، وبما شمل تبني موقفاً وسياسات تسعى لتغيير مجتمع المخيم وتوجهاته بما يحمل موقفاً يدين كل ما مثله المخيم في الإطار الوطني حتى ذلك الحين، فأعيد توصيف المقاومة في المخيم بوصفها فلتان أمني تعالجه حملات أمنية وتسويات تشمل تدبير "عفو" من سلطات الاحتلال عن المطلوبين الفلسطينيين الملاحقين من قبل الاحتلال نظير التزامهم بشروط محددة تلغي دورَهم في مواجهة الاحتلال.

غير بعيد عن ذلك سمحت السلطة لبرامج المانحين المنفذة عبر مؤسسات أهلية فلسطينية، بالعمل لإعادة تشكيل هوية مجتمع المخيم وسرديته وتمثله لذاته، فجاءت البرامج بدلاً من أن تكون داعمة للتجربة الشعبية الملهمة في مقاومة الاحتلال وتنظيم الذات، لتشكل مساراً "تأديبياً" للنشطاء الفلسطينيين يقومون فيه بإعادة اكتشاف "عدم جدوى الفعل المسلح"، وقدمت الأنشطة الفنية والمسرح والرياضة كبرامج علاجية لمن حملوا السلاح أو انخرطوا في مقاومة الاحتلال، في هذه البرامج

وضعت مقاومة مجتمع المخيم وتمرده، وكل منظومة القيم التي طورها هذا المجتمع لحماية قدرته وصموده في موضع الإدانة، كمرض يجب الشفاء منه على يد المانحين ومن خلال برامجهم.

وفقاً لهذا التنميط كان كل ميل للهوية الأصيلة لمجتمع اللاجئين، للثورة الشعبية أو المسلحة، والفعل ضد الاحتلال، السلاح ومناضلي الأمس، كل هذا موضعاً للعقاب يُعالج بالحملات الأمنية التي انطلقت تباعاً لتطال المخيم وبقايا البنى التنظيمية والمجموعات الفصائلية فيه، ما خلق نوعاً من الصدام والتوتر الدائم بين بنى السلطة الفلسطينية وشرائح من مجتمع المخيم، وهو ما قابلته السلطة بمزيد من التعنت في خطابها وممارستها ضد هؤلاء، مسارٌ لم ينتج تمرداً ضد السلطة فحسب، ولكن قاد لتحول جزء من البنى الوطنية التي انشغلت تاريخياً في مواجهة الاحتلال لأشكال من التمرد الغاضب يصطدم بمسار سياسي واجتماعي اختطته السلطة وبيئة جديدة كان يتم العمل على تشكيلها بعد تقويض الانتفاضة.

3- التهميش وإعادة بناء الهيكل المجتمعي

سياسات الاحتواء التي تم ممارستها تجاه المخيم لم تشمل بُعداً تنموياً حقيقياً، وارتبطت برامج وفرص التشغيل لمجتمع استثمر أفراده طاقاتهم وأعمارهم في سياق المواجهة مع الاحتلال بمعايير وأدوار جديدة. وتجاه مجتمع تدمرت بناه التحتية وخرج من مجزرة وزج مئات من شبابه في سجون الاحتلال، كانت الخيارات المقدمة لأبناء المخيم هي القبول بأدوار جديدة في السلم المجتمعي والاقتصادي الفلسطيني.

المخيم الذي بلغت مساحته عند إنشائه حوالي 372 دونماً، لم يتوسع إلا لحوالي 473 دونماً، بعد حوالي سبعين عاماً من تأسيسه، فيما تزايد سكانه أضعافاً ليبلغ عددهم حوالي 27 ألف نسمة.. في هذا الحيز هناك فقط خمس مدراس لكافة المراحل الدراسية، ومركز صحي وحيد يتبع لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "أونروا" يفتقر لأي إمكانيات حقيقية، ورياض أطفال وحيد نشأ بمبادرة محلية، ونادي وحيد هو "مركز الشباب الاجتماعي"، أما مشاريع العلاج من "آفة التمرد" بواسطة المسرح واللعب والترفيه فقد رحلت سريعاً من المخيم.

عمليات إعادة الاعمار التي وضعت خططها من قبل "أونروا" ورغم رصد الأموال لها لم ينفذ إلا جزء منها، فيما لا زالت بنى المخيم التحتية في حالة سيئة، ونسب البطالة فيه تصل لحوالي 30% من القوة العاملة، فيما لا يحظى العاملون من أبناء المخيم إلا بفرص عمل في أدنى السلم الاجتماعي والاقتصادي الفلسطيني.

الاحتجاج على البطالة والتهميش وافتقاد فرص العمل وافتقاد المخيم للخدمات قوبل ببرامج تشغيلية محددة تفرغ المخيم من شبابه وتلحقهم كقوة عمل رخيصة في مهن ومراتب متدنية ضمن مؤسسات السلطة الفلسطينية وأجهزتها الأمنية، أو في القطاع الخاص الفلسطيني وسوق العمل في كيان الاحتلال.

هذه السياسات انتجت اصطلاحات مجتمعية باتت تطلق على أبناء المخيم ومحيطه من قرى جنين ذات دلالات عنصرية ومعاني للوضع الاجتماعي الجديد مثل "التايلندية" في إشارة لكون سكان المخيم هم النظير للعمال القادمين من تايلند والذين استحضرتهم سلطات الاحتلال كأيدي عاملة رخيصة في "سوق العمل الإسرائيلي."

ولادة الطور الجديد من الثورة

ترك الاجتياح والمجزرة التي تعرض لها المخيم، أثراً هائلاً على بنيته الاجتماعية والوطنية وقدرة مجتمعه على تنظيم الذات، وفاقم من تأثير ذلك السياسات التي استهدفته وعملت على تقويض أي محاولة لاستعادة تنظيمه الذاتي، وهو أمر لم يُفلح في تقويض ارتباط مجتمع المخيم بهويته أو يقضي على "جذوة التمرد" لدى مجتمع اللاجئين الذين أوغلت منظومة الاحتلال في دمهم.

لكن هذه العوامل شكلت عائقاً أمام تنظيم الذات، وأحالت الفعل الوطني المنظم والموجه ضد الاحتلال إلى حالة من التمرد المتشظي على شاكلة مجموعات متناثرة افتقد كثير منها للرؤية السياسية، وعجز عن استعادة روابط الفعل المشترك القادر على حشد مجتمع المخيم، بل وكثير ما تنافرت بعض المجموعات وهيمن السلاحُ على الهدف من السلاح في حالات أخرى، ومع ذلك لم يكن هذا التقويض كفيلاً بكف عدوان الاحتلال عن المخيم، فتواصلت الاقتحامات وجرائم الاغتيال والاعتقال،

ولم يكف المخيم أيضاً عن مقاومته وإن كانت لفترة عشوائية وتفتقد للكثير من روافعها.

ما تغير خلال السنوات الماضية هو تحول تدريجي تشهده الحالة الفلسطينية بشكل عام، حيث باتت الحراكات القاعدية/ المحلية فاعلاً نشطاً في المقاومة الشعبية ضد الاحتلال، وأعيد الاعتبار لقدرة المجتمعات المحلية على تنظيم ذاتها وبناء أهداف مشتركة في مواجهة الاحتلال ترتبط بما تواجهه من تحديات مباشرة.

كما أن الأحداث الكبرى في الصراع بين الفلسطينيين والاحتلال باتت تخلق حيزاً سياسياً يتجاوز جدليات السلطة والانقسام، ويجتذب البنى المحلية للتفاعل مع المشهد العام للصراع والهبات الانتفاضية والارتباط به، وهو ما صنع ظرفاً أكثر موائمة لمحاولة استعادة الزخم والتنظيم للفعل الوطني في مجتمع مخيم جنين كما في العديد من الحالات المحلية الأخرى.

وفي هذا الجانب يمكن الإشارة لهبة أيار/ مايو باعتبارها نقطة تحول مهم في استعادة كثافة الفعل الشعبي لمجتمع المخيم، وكذلك في إعادة

تشكيل بعض الأطر الوحدوية التي جمعت بنى فصائلية ومجموعات عسكرية تحت شعارات وطنية عامة تتعلق بمواجهة الاحتلال، فعملية الهروب من سجن جلبوع الاحتلالي لستة من أسرى المخيم جميعهم من القيادات المعروفة والتي تحظى برمزية مهمة لدى أبناء المخيم، شكلت عامل تحفيز آخر للحالة الشعبية في المخيم، فقد طرحت سؤالاً أساسياً حول قدرة المخيم على حماية أبنائه الذين حققوا معجزة بالفرار من سجون الاحتلال، ورغم أن اثنين فقط منهم هم من وصلوا إلى جنين، فقد كانت فترة المطاردة والبحث مساحة لتفاعلات كبيرة بين بنى المخيم تتعلق باستعادة قدرته وعوامل مناعته التي تكفل لعبه دوراً لسنوات طويلة في مواجهة الاحتلال.

تصاعد عمليات التصدي لقوات الاحتلال بالمقاومة الشعبية والمسلحة داخل مخيم جنين وفي محيطه، هو الناتج الظاهر الذي أعاد لفت الانتباه لمخيم جنين وفعله الشعبي، ولكن التطورات على مستوى البنية الحاملة لهذا الفعل داخل مجتمع المخيم لا تقل أهمية، فخلال هبة أيار/مايو 2021 وفي أعقابها تتابعت مظاهر استعادة البنية الوحدوية للفعل الشعبي والوطني في المخيم، وسواء عبر الإعلان من قبل الأذرع المسلحة

للفصائل في المخيم عن تنسيقها وتشكيل غرفة عمليات مشتركة فيما بينها، وهو إعلان وإن كانت تغلب عليه الصفة الرمزية إلا أن انعكاساته أظهرت مفاعيل حقيقية على الأرض في التصدي للاقتحامات الاحتلالية، وكذلك مفاعيل معنوية تغذي الحالة الجماهيرية في المخيم وتستعيد تجميعها صوب خطاب تحرري، والأهم أنها تعيد تعريف دور السلاح وهويته في مواجهة خطاب وممارسات حاولت تشويه هذا الدور، وعمليات تقويض صنعت مرحلة من الشرذمة والإرباك وضبابية الرؤية.

هذا الفعل الشعبي بشقيه المسلح والجماهيري قوبل بتهديدات من الاحتلال وتعهدات من السلطة الفلسطينية بقمعه والقضاء على مصادره، واتجاه السلطة الفلسطينية لمواجهته أمنياً بل وإجراء جملة من التغييرات في قيادة أجهزتها الأمنية في جنين تحت عنوان (مواجهة تصاعد الفعل الشعبي في مخيم جنين)، ومع ذلك تبدو الحالة في المخيم أكثر قابلية للتطور من أي وقت مضى منذ العام 2003.

خلاصة:

غلبة المظهر العسكري على مظهر نهوض المقاومة الشعبية في مخيم جنين لا يمكن أن يخفي حقيقة ارتباط هذا النهوض بدرجة كبيرة من التعافي للحالة الشعبية والتنظيمية في المخيم، واستعادة المجتمع لجزء من قدرته على تنظيم الذات واجتراح البدائل رغم تواصل وتصعيد الضغط الأمني والهجوم السياسي الإعلامي من المؤسسة الرسمية الفلسطينية، واستمرار الجرائم العسكرية الاحتلالية التي تسعى لتقويض روافع المقاومة في المخيم.

ما أخفق فيه برنامج التطويع والإخضاع الذي جرت محاولة فرضه على مخيم جنين، هو إبصار العلاقة الجذرية بين مأساة اللجوء والاقتلاع والممارسات الوحشية الاحتلالية من جهة، وتكون الهوية المتمردة لمجتمع اللاجئين في مخيم جنين من جهة أخرى، وهي هوية تطورت مرتبطة بموضع المخيم كنقطة تكثيف للارتباط الجغرافي بين فلسطين وفلسطين على جانبي الخط الأخضر، واستعصاء إذابة هذا الارتباط بفعل الحواجز وسياسات العزل، فهذا المجتمع يستند لارتباطه التاريخي ،في حفظ ارتباطه الاجتماعي والديموغرافي وتفعيل هذا الارتباط كأداة ورافعة

لتطوير اشكال وموجات جديدة من التمرد على محاولة فرض الاستسلام والخضوع على هذا المجتمع الحيوي.

ورغم استمرار مصادر التهديد ومسارات التقويض لهذه الحالة الشعبية التي ينتجها مجتمع المخيم، فإن استنادها لحالة تصاعد المقاومة الشعبية في الضفة المحتلة وعموم فلسطين يعطيها أفقاً إضافياً افتقدت له في موجات سابقة، كما أن مؤشرات تمدد حالة المقاومة الشعبية في قرى وبلدات محيطة ذات تتشارك مع المخيم العديد من الروابط والصلات الوطنية والاجتماعية، يعزز هذه الاحتمالية.

سيناريوهات مستقبل متضاد: الكيانية والدولة وعقل المخيم

في مقاربة المستقبل الممكن لهذه الحالة الشعبية من غير اللائق نحو إصدار توصيات لحالة شعبية، ورغم أن الجهد البحثي لبوابة اللاجئين الفلسطينيين موجه أولاً لخدمة مجتمع اللاجئين الفلسطينيين، إلا ان المسار الأساسي الممكن في التفاعل مع حالة شعبية نشطة، هو محاولة فهمها والتعلم منها وإدراك المخاطر التي تحف بها، او استدعاء النماذج التاريخية التي توضح عوامل الإخفاق والنجاح.

ولبناء فهم أوضح لعوامل تشكيل مستقبلها، بحثاً عن التفاعل الجاد معها والتقاط دروسها، قد يكون من المفيد العودة لجدلية العلاقة بين المسعى الرسمي الفلسطيني لتحصيل شكل من الكيانية والاعتراف الرسمي، والذي تدرج تاريخياً وصولاً لاختزال القضية الفلسطينية في سعي قيادتها لتحصيل اعتراف وتشكل لدولة فلسطينية، وبين العمق الشعبي لمأساة النكبة والتهجير وسياسات التطهير العرقي التي انتهجها المستعمر تجاه مجتمع الفلسطينيين.

اذ يرتبط فعل اللاجئ الفلسطيني بتمرده على عملية الاقتلاع والتهجير، وبعملية تاريخية استبدل فيها اللاجئون القيمة المفترضة للموروث المادي الذي خسروه بفعل التهجير، بموروث معنوي يرتبط بأدوارهم ضمن حالة الرد على الغزو والتهجير والعدوان.

هذا جعل فعل مجتمع اللاجئين مرتبط بوجود المستعمر وأدواره، وبطبيعة الحياة اليومية للاجئ تحت وطئة مفاعيل النكبة المستمرة بأشكالها المختلفة، أكثر من ارتباطه بقرار سياسي يأتي من الأعلى، وهذا الجدل بين البحث عن الكيانية والدولة، والبحث عن ازاحة الظلم الاستعماري

المتراكم حَكَمَ العلاقةَ بين البنية السياسية الفلسطينية العليا والمخيم بمراحل مختلفة.

وفي المرحلة الحالية تبدو الحراكات الشعبية في المخيم او على امتداد بؤرها في فلسطين التاريخية جزءاً من فعل تنتجه البنى الاجتماعية ولا تخضع لمسار محدد تختطه القيادة الرسمية أو تحدده البنى السياسية على اختلافها.

التمرد هنا هو فعل وجود ومحور لتنظيم المجتمع لذاته وقدراته وفهمه لهويته وتمثل الأفراد والمجموعات لهوياتهم الفرعية بداخله، وبقدر ما تنسجم البنى السياسية العليا فلسطينياً مع هذا السياق الشعبي في منطلقاته وتوجهاته، فإنها قد تسهم إيجابياً في بناء حالة فلسطينية عامة قادرة على الانتقال بالفلسطينيين إلى مرحلة سياسية جديدة قوامها تغليب الإرادة الجماهيرية والتعبير عنها سياسياً، فما لا يمكن إغفاله هنا هو قدرة هذا المجتمع على إعادة صناعة تعبيراته السياسية وإنتاج بنى سياسية بديلة إن عجزت تلك القائمة عن حمل رؤاه وتطلعاته.

المراجع:

موقع UNRWA، مخيم جنين

وفا للأنباء –مخيم جنين

استشنائية مخيم جنين – وكالة وفا

وليد دقة وجمال حويل: منهجية النار (1) – شبكة قدس الإخبارية

مخيم جنين من النكبة إلى الانتفاضة: علي بدوان

معركة مخيم جنين : التشكيل و الأسطورة نيسان 2002 – FADA Birzeit ...::

مخيم جنين هدف لحملة أمنية من السلطة بإيعاز من الاحتلال – بوابة اللاجئين الفلسطينيين